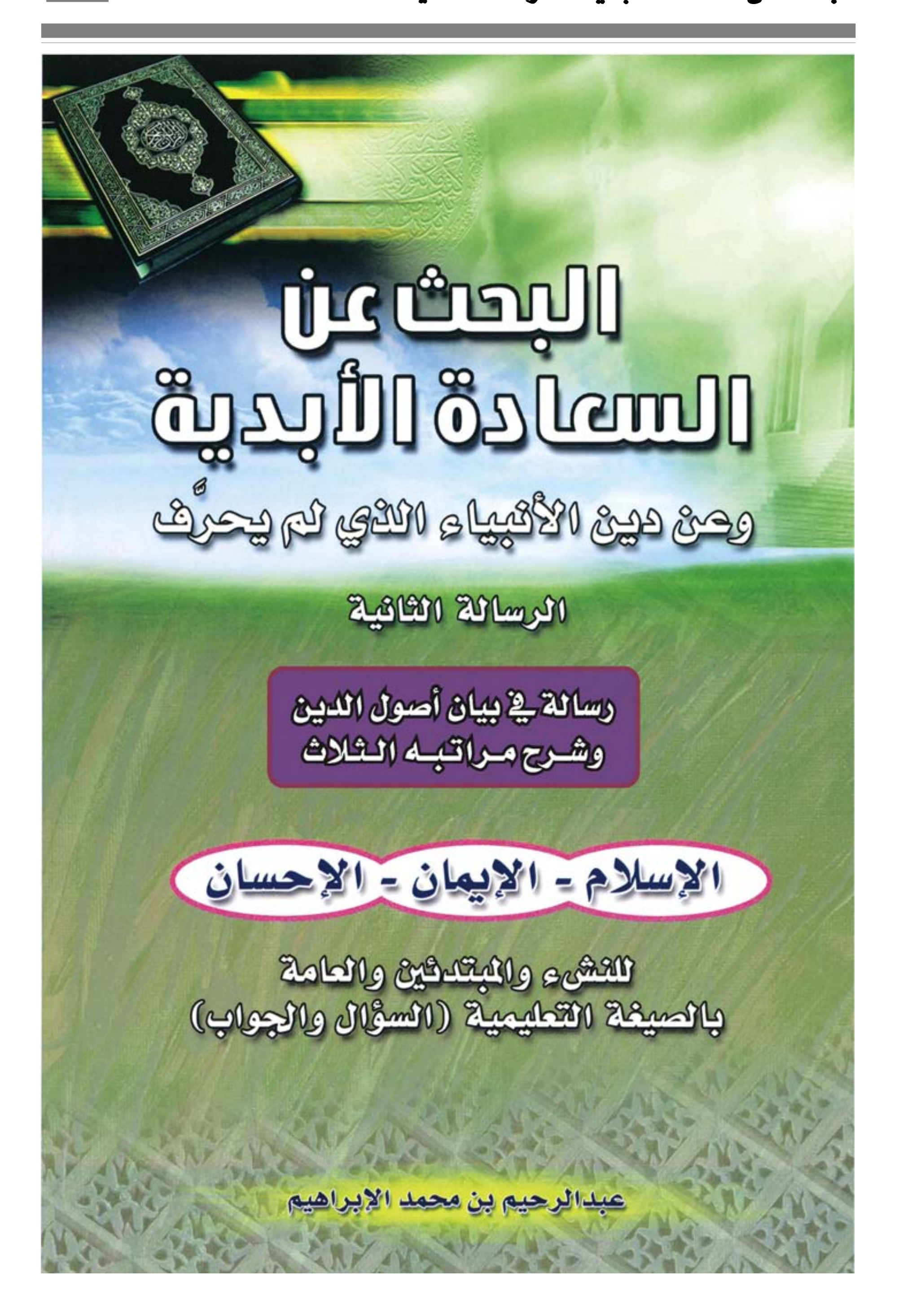

البحث عن
السعادة الأبدية
وعن دين الأنبياء الذي لم يحرَّف
الرسالة الثانية
رسالة في بيان أصول الدين
وشرح مراتبه الثلاث
الإسلام - الإيمان - الإحسان
للنشء والمبتدئين والعامة
بالصيغة التعليمية (السؤال والجواب)
عبدالرحيم بن محمد الإبراهيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

روى البخاري في صحيحه عن معاذ رضي الله عنه قال : **كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عُفير ، فقال : «يا معاذ هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله» قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يُعذب من لا يشرك به شيئاً» فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال : «لا تبشرهم فيتكلوا»** متفق عليه .

بهذا النهج وهذه الطريقة أحب النبي ﷺ أن يُعلّم معاذاً أمر هذا الدين العظيم بطريق السؤال ثم الجواب على هذا السؤال ، وهو ما فعله جبريل عليه السلام أيضاً مع النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في حديث مراتب الدين الثلاث مع تفويضه للنبي ﷺ بالجواب عن ذلك عندما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان .

وما أحسن هذا النهج التربوي التعليمي ، لما فيه من تركّز العلم المطلوب في ذهن طالبه ، بعد صفاء ذهنه من كل شيء يعيق حفظ هذا العلم ، والذي يتولى تصفيته السؤال الذي يجرِّد ذهن وفكر صاحبه ويشوقه بعد ذلك لمعرفة الجواب . فهو أدعى لضبط هذا العلم وحفظه وحب تلقيه ، وقد جاء في رواية مسلم أن النبي ﷺ سأل معاذاً ثم لبث ساعة ثم عاد عليه نفس السؤال ثم لبث ساعة .

فعلها ثلاثاً . مما جعل معاذاً يشتاق لمعرفة الجواب ، فهو أسلوب فريد من نوعه . ينبغي على من أراد أن يكون من معلمي الناس الخير وينال فضل صلاة الملائكة عليه واستغفارها له أن لا يغفل عنه .

روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب ، قال : **بينما نحن عند رسول الله ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ! أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، إن استطعت إليه سبيلاً» ، قال : صدقت : قال فعجبنا له ، يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الإيمان ! . قال : «أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره» ، قال : صدقت : قال : فأخبرني عن الإحسان؟ قال : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك» . قال : فأخبرني عن الساعة؟ قال : «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» قال : فأخبرني عن أمارتها ، قال : «أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاه يتطاولون في البنيان» ، قال ثم انطلق . فلبثت ملياً ، ثم قال لي : «يا عمر ! أتدري من السائل؟» ، قلت : الله ورسوله أعلم؟ قال : «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»** (متفق عليه) .

وقد بني هذا الدين على أصول ثلاث ، كان لابد على العبد من معرفتها :

١ ـ معرفة العبد ربه عز وجل .

٢ ـ معرفة العبد دينه .

٣ ـ معرفة العبد نبيه صلى الله عليه وسلم .

وهذه الأصول الثلاث هو أول ما يسأل عليها العبد إذا وضع في قبره ، فكان لابد عليه من الاجتهاد في معرفتها والتزامها بعد ذلك ، فهي أسس سعادته في الدنيا والآخرة .

وقد اجتهدت في بيان شيء مما جاءت به وقامت عليه هذه الأصول مع ذكر أدلتها من الكتاب والسنة وبطريق السؤال والجواب ، لعل الله عز وجل أن ينفع بها ويغفر لكاتبها ولجميع المسلمين والمسلمات ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الأصل الأول

معرفة العبد ربه عز وجل

هذه كلمات نافعة لك أيها العبد ، فاحرص على تعلمها وتعليمها .

إن قيل لك صِف لنا ربك؟

فقل : ربي الله الذي لا إله إلا هو خالق الخلق أجمعين ورازقهم .

هو (الأول) فليس قبله شيء .

وهو (الآخر) فليس بعده شيء .

وهو (الظاهر) الأعلى فليس فوقه شيء .

وهو (الباطن) القريب فليس دونه شيء .

وهو (الحي) الذي لا يموت ومن دونه من الخلق سيفنى ويموت .

وهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤**﴾ (الإخلاص) .

ليس له مثيل ولا شبيه ولا نظير . ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ (الشورى) .

﴿**عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال**﴾ .

لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض ﴿**يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير**﴾ .

يعلم ما تكنه الصدور وما تخفيه النفوس ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤**﴾ (الملك) .

وهو النور سبحانه . وحجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . قال موسى ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)﴾ (الأعراف) .

وهو العظيم الكبير جل في علاه الذي كمل في عظمته وكبريائه . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الزمر : ٦٧) أي وما عظموه حق تعظيمه .

﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ الزمر : ٦٧

وما السماوات السبع بمجراتها وأفلاكها التي تفوق التصور والخيال في الكرسي - الذي هو موضع قدم الرب سبحانه - إلا كدراهم سبعه ألقيت في ترس ، وما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت في فلاة من الأرض ، والله سبحانه مستوٍ على العرش . فسبحان من كمل في عظمته وكبريائه .

وهو الغني عزوجل عمن سواه ومن دونه من الخلق إليه فقير .

وهو العزيز الرحيم الرحمن الذي وسعت رحمته الخلائق جميعها .

وهو السميع سبحانه الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات ، لا تختلط عليها الأصوات ، ولا تخفى عليه جميع اللغات ، القريب منها والبعيد والسر والعلانية عنده سواء . ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) ﴾ (الرعد) .

يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء .

وهو البصير سبحانه الذي أحاط بصره بجميع الأشياء والمبصرات لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماوات .

وهو القوي القادر جل وعلا لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

الحي القيوم لا ينام ولا ينبغي له أن ينام . له الأسماء الحسنى والصفات العلى .

خلق من كل شيء زوجين اثنين ، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل .

قال فرعون لموسى ﴿ **وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)**﴾ (الشعراء) .

وقال إبراهيم عليه السلام : ﴿**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)**﴾ (الشعراء) .

وهو الجميل سبحانه ـ ومن أسمائه الجميل ـ أهل الجمال والكمال ، نور السماوات والأرض من نوره عز وجل ، قال تعالى : ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب**﴾ (الزمر : ٦٩) .

وفي دعائه ﷺ : «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك واشوق إلى لقائك**» (رواه النسائي) .

وكفى بجلالته ونوره وجماله أن أهل الجنة ـ وما هم فيه من النعيم العظيم الذي تذوب من سماع وصفه النفوس ، لـمَّا يتجلَّى لهم الله عزَّ وجلَّ فيكشف عنه الحجاب فينظرون إليه تزوغ عقولهم وتنسى أنفسهم ذلك النعيم الذي هم

فيه لما يرون من نوره سبحانه وجماله وعظمته وجلاله ، فما أعطوا شيئاً ـ كما قال ﷺ أحب إليهم من النظر إلى وجهه جلَّ وعلا .

وهو الظاهر سبحانه الأعلى جل وعلا ، العليّ الكبير ، فليس فوقه شيء ، قال تعالى : ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ (الأعلى : ١) .

وهو الباطن عز وجل القريب فليس دونه شيء ولا أقرب من شيء سبحانه ، فهو أقرب للعبد من نفسه قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** (١٦)﴾ (ق) .

وهو الودود سبحانه ، ذو العرش المجيد ، فعَّال لما يريد الذي يحب عبده ويتودد إليه كلما قرب منه ، وإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، وحبب إليه أهل سماواته وأرضه ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** (٩٦) ﴾ (مريم) .

وهو الرحيم سبحانه الرحمن الذي وسعت رحمته الخلائق جميعاً ، فهو أرحم بالعبد من الوالدة بولدها ، كما قال ﷺ . وهو شديد العقاب عز وجل : ﴿**ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** (٣)﴾ (غافر) .

وهو المنعم عز وجل الذي أسبغ نعمه على عباده ظاهرة وباطنة ، فلا تُعد نعماؤه ولا تحصى ، ولا يستطيع أحد من الخلق أن يؤدي حقها ولا شكرها ، ولو عاش دهره كله ، وسجد عمره كله ، وقد جاء في الأثر الذي يرويه أحمد بسنده عن أبي الجلد قال : «قال موسى عليه السلام : إلهي كيف أشكرك وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمتك لا يجازيها عملي كله؟ فأوحى الله إليه : يا موسى الآن شكرتني» .

وإن سئلت عن أمره جل وعلا؟

فقل : أمره عظيم سبحانه : ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)**﴾ (يس) .

وإن سئلت عن شأنه جل وتقدس؟

فقل : شأنه جليل عز وجل ، كل يوم هو في شأن .

قال تعالى : ﴿**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)**﴾ (الرحمن) .

قال ابن القيم : (ومن جملة شؤونه أن يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ، ويشفي مريضاً ، ويفك عانياً ، وينصر مظلوماً ، ويغيث ملهوفاً ، ويجبر كسيراً ، ويغني فقيراً ، ويجيب دعوة ، ويقيل عثرة ، ويعز ذليلاً ، ويذل متكبراً ، ويقصم جباراً ، ويميت ويحيي ، ويُضحك ويُبكي ، ويخفض ويرفع ، ويعطي ويمنع ، ويرسل رسله من الملائكة ، ومن البشر في تنفيذ أوامره ، وسوق مقاديره ، التي قدَّرها إلى مواقيتها التي وقّتها لها»اهـ .

فهذا ذكر شيء من أفعاله سبحانه وأسمائه وصفاته تعالى وتقدس ﴿**وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)**﴾ (الروم) .

فإن قيل لك بأي شيء عرفت ربك عز وجل؟

فقل : عرفته بآياته ومخلوقاته ودلائله التي تدل عليه من الليل والنهار والشمس والقمر وغير ذلك ، قال تعالى : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)**﴾ (فصلت) .

فإن قيل لك ولأي شيء خلقك الله عز وجل؟

فقل : خلقني لغاية عظيمة وهو أن أعبده وحده لا أشرك به شيئاً .

فإن قيل لك وما الدليل على أن الله خلقك لهذه الغاية ولم يترك هملاً؟

فقل : الدليل قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات) .

وأما الدليل على أن الله لم يتركني هملاً فقوله عزوجل ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ (القيامة) .

وقوله سبحانه : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ (ص) .

وقوله سبحانه : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الأنبياء) .

وقوله عزوجل : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران) .

وقوله سبحانه : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ (المؤمنون) .

فإن قيل لك : وما معنى العبادة؟

فقل : هي غاية الذل والخضوع لله وأوامره مع غاية المحبة له سبحانه .

وبمعنى آخر : هو فعل ما أمر الله تعالى به واجتناب ما نهى عنه .

فإن قيل لك وما هي صور العبادة؟

فقل صورها كثيرة . منها : (القيام ، والركوع ، والسجود ، والدعاء ،

والاستغاثة ، والإستعانة ، والإستعاذة ، والاستنصار ، والذبح ، والنذر ، والطواف ، والعكوف ، والتحاكم ، والخضوع والتسليم لأمر الله ، والمحبة ، والتعظيم ، والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والخشية ، والخوف من الله عزوجل ، والرجاء ، والإنابة ، والتوكل ، وأن تكون حياتك ومماتك وصلاتك ونسكك كلها لله عزوجل . فلا تحيا إلا لله ولا تموت إلا في سبيل الله الذي خلقك من العدم ، وأسبغ عليك نعمه ظاهرةً وباطنة . قال تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)**﴾ (الأنعام) .

فإن سئلت عن حكم من صرف شيئاً من هذه الصور العبادية لغير الله؟

فقل : حكمه أنه :

١ ـ مشرك في عبادة الله .

٢ ـ كافر خارج عن ملة الإسلام .

٣ ـ والجنة عليه حرام .

٤ ـ وهو مخلَّد في النار أبد الآبدين .

ودليل ذلك قوله سبحانه : ﴿**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)**﴾ (المائدة) .

الأصل الثاني
معرفة العبد دينه

فإن سئلت يا - عبدالله - عند دينك؟

فقل : ديني الإسلام ، وهو دين الله ودين الرسل جميعاً من آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ .

ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ (آل عمران : ١٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾ (آل عمران) .

فإن سئلت عن مراتب الدين؟

فقل : هي ثلاث (الإسلام ، والإيمان ، والإحسان) وكل مرتبة لها أركان .

فإن قيل لك : وما هو الإسلام؟

فقل : الإسلام : هو الإستسلام لله بالتوحيد ، والإنقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله .

فإن قيل لك وكم أركان الإسلام؟

فقل : أركان الإسلام خمسة (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام) .

فإن قيل وما معنى شهادة أن لا إله إلا الله؟

فقل : أن تشهد أن لا معبود بحق إلا الله عزوجل . عن علم ويقين وصدق .

(فلا إله) نفي لكل ما يُعبد من دون الله من الطواغيت والأنداد مع الكفر بهم .

(إلا الله) إثبات العبادة لله وحده لا شريك له .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** (٦٤) ﴾ (آل عمران) .

فإن سئلت عن معنى شهادة أن محمداً رسول الله؟

فقل : هو أن يشهد العبد لنبينا محمد ﷺ بالنبوة والرسالة : بأنه رسول من عند الله فيؤمن به ، ويُطيعه فيما أمر ، ويُصدقه فيما أخبر ، ويجتنب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

فإن قيل لك وما هي الصلاة؟

فقل : هي صلة ما بين العبد وربه ، تشتمل على أقوال وأفعال عبادية تبتدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم ، وتشتمل على عبادات منها القيام والركوع والسجود ، والخشوع والذكر . يفعلها المسلم لربه خمس مرات في اليوم والليله تعبداً لربه وذكراً له سبحانه .

قال الله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿**وأقم الصلاة لذكري**﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ** (١٤) **وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ** (١٥) ﴾ (الأعلى) .

فإن سئلت لماذا شرعت الصلاة؟

فقل : شرعت حتى لا يكون العبد غافلاً عن الله وذكره ، وعن أعظم غاية خلقه الله لأجلها وهي عبادته وحده سبحانه والتعلق به وشكره .

قال تعالى : ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ (الأعراف) .

فإن قيل لك وما هي الزكاة؟

فقل : هي ما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى في المال وغيره إلى الفقراء والمساكين ، فهي مأخوذة من النماء والطهارة والبركة .

قال الله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (التوبة) .

فإن قيل : وما هو الصيام؟

فقل : هو الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات عبادةً لله تعالى من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

فإن قيل وأي شهر فرض الله صيامه؟

فقل : شهر رمضان . قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ (البقرة) .

فإن سئلت عن الحج؟

فقل : هو أن يقصد العبد بيت الله عز وجل (الكعبة المشرفة) بمكة لأداء عبادة الطواف ، والسعي ، والوقوف بعرفه ، وسائر المناسك استجابة لأمر الله .

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (آل عمران) .

الإيمان

فإن سئلت عن الإيمان ومعناه؟

فقل : الإيمان : هو أن يؤمن العبد بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ..﴾ (البقرة : ١٧٧) .

وقوله تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ...﴾ (البقرة : ٢٨٥) .

الإيمان بالله

فإن قيل لك وما معنى الإيمان بالله؟

فقل : هو أن يؤمن العبد بأن الله هو رب السماوات والأرض ورب العالمين فيعبده وحده دون ما سواه .

قال تعالى : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ (مريم) .

١ ـ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا الإيمان بربوبية الله .

٢ ـ ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ هذا الإيمان بألوهيته . فإن معنى أَلَهَ : أي عَبَدَ . والمألوه : هو المعبود . والألوهية : هي العبودية .

٣ ـ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ هذا الإيمان بأسمائه وصفاته : أي هل تعلم له

شبيهاً ومثيلاً له في أسمائه وصفاته قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى) .

فإن قيل لك وما معنى الإيمان بربوبية الله؟

فقل : هو أن يؤمن العبد بأن الله هو الرب الخالق لجميع الأشياء ، والرازق ، المحيي المميت ، المصرف للكون ، المدبر للأمر ، النافع الضار ، الحاكم المشرع الذي لا معقب لحكمه .

فإن قيل لك وما معنى الإيمان بألوهيته سبحانه؟

فقل : هو أن يُؤمن العبد بأنه لا إله إلا الله ، ولا معبود سواه . وأن العبادات كلها . من دعاء وقيام وركوع وسجود وذبح وطواف وتحاكم هي حق لله وحده .

فإن قيل لك وما معنى الإيمان بأسمائه وصفاته؟

فقل : هو أن يُؤمن العبد بكل اسم لله تعالى سَمَّى به نفسه وكل صفة وصف بها نفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ من غير تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ، ويُفرده بها دون ما سواه .

الإيمان بالملائكة

فإن سئلت عن الإيمان بالملائكة؟

فقل : هو أن يؤمن العبد بأن لله تعالى ملائكة خلقهم من نور قد جبلوا على طاعته وعبادته . قال تعالى عنهم : ﴿**وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠)**﴾ (الأنبياء) .

وقال تعالى : ﴿ **لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)**﴾ (التحريم)

وقال ﷺ : «**أطَّت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله**» رواه الترمذي .

وفي رواية الطبراني أن النبي ﷺ قال : «**ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً : ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لا نشرك بك شيئاً**» .

فإن سئلت عن صفتهم ووظائفهم؟

فقل : أما عن صفتهم فقد قال عليه الصلاة والسلام عنهم : «خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وُصف لكم» رواه مسلم . أي من الطين .

وهم أولوا أجنحة مثنى وثلاث ورباع . قال الله تعالى : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)**﴾ (فاطر) .

فمنهم جبريل عليه السلام (**الموكل بالوحي**) فقد رآه ﷺ في صورته «وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم» رواه أحمد .

وهو موكل بالوحي (الذي هو كلام الله المنزل إلى الخلق) وقد وصفه الله سبحانه في القرآن بالروح الأمين . ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)**﴾ (الشعراء) .

ومنهم ميكائيل ـ عليه السلام ـ الموكل بالمطر والنبات والغيث والرحمة من الله عزوجل .

فجبريل موكل بإنزال الوحي والهدى من الله عزوجل للخلق ، وميكائيل موكل بإنزال المطر والرحمة من الله سبحانه .

قال تعالى : ﴿**مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨)**﴾ (البقرة) .

ومنهم إسرافيل ـ عليه السلام ـ (وهو أحد حملة العرش) الموكل بالنفخ في الصور . قال عليه الصلاة والسلام «إن إسرافيل قد التقم الصور وَحَنَى جبهته ينتظر متى يؤمر» رواه ابن جرير .

ـ ومنهم من هو موكل بقبض أرواح البشر متمثلاً بملك الموت . قال تعالى : ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)**﴾ (السجدة) .

وقال تعالى : ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ (٦١)**﴾ (الأنعام) .

ومنهم من هو موكل بسؤال الإنسان في قبره إذا مات ، ملكان يسألان الإنسان عن ثلاث :

١ ـ عن ربه . ٢ ـ ودينه . ٣ ـ ونبيه .

أما المؤمن : فيقول ربي الله ، وديني الإسلام ونبي محمد ﷺ . أما الكافر أو المنافق : فيقول : هاه هاه لا أدري . فيأتيه من العذاب ما الله به عليم ، والمؤمن يأتيه من النعيم ما الله به عليم .

ومنهم خازن الجنة (رضوان) كما جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث . ومن معه من الملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب الجنة . قال تعالى : ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)**﴾ (الرعد) .

وقال تعالى : ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)**﴾ (الزمر) .

ومنهم خازن النار (مالك) وخزنة جهنم التسعة عشر . قال تعالى : ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧)**﴾ (الزخرف) .

وقال تعالى : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩)**﴾ (غافر) .

وقال تعالى : ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ...**﴾ (المدثر) .

ومنهم من هو موكل في حفظ بني آدم . فكل إنسان له حافظان ملكان اثنان

واحد أمامه من بين يديه وآخر من خلفه يحفظانه من أمر الله بأمر الله عزوجل . قال تعالى : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ (الرعد : ١١) .

ومنهم من هو موكل في تسجيل أعماله من الخير والشر وكتابتها . قال تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كِرَامًا كَاتِبِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ⑫﴾ (الإنفطار) .

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ⑯ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ⑰ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ⑱﴾ (ق) .

ومنهم من هو موكل بتثبيت المؤمنين ونصرتهم . قال تعالى : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ⑫﴾ (الأنفال) .

ولا يجتمع قوم يذكرون الله عزوجل إلا حفتهم الملائكة وعشيتهم الرحمة . قال عليه الصلاة والسلام «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم .

ومنهم حملة العرش الثمانية الذين قال الله فيهم ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ⑰﴾ (الحاقة) .

قال عليه ﷺ : «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**» رواه أبو داود .

الإيمان بالكتب

فإن سُئلت عن معنى الإيمان بالكتب؟

فقل : هو أن يؤمن العبد بأن لله تعالى كتباً ـ هي من كلامه عزوجل ـ أوحى بها إلى رسله عن طريق جبريل عليه السلام بلاغاً للناس ولينذروا به .

قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد : ٢٥) .

فإن قيل وما هي الغاية من إنزال هذه الكتب؟

فقل : الغاية هي هداية الخلق إلى الله عزوجل الذي ـ خلقهم من العدم ـ وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان والتوحيد .

قال تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢)﴾ (إبراهيم) .

فإن قيل وما أعظم ما دعت إليه هذه الكتب؟

فقل : هو الإيمان بالله تعالى وتوحيده ، والكفر بكل طاغوت عبده العابدون .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل : ٣٦) .

فإن قيل لك أذكر لنا شيئاً من هذه الكتب المنزلة؟

فقل : (القرآن الكريم) وقد أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ .

قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً (٢٣)﴾ (الإنسان) .

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ (الحجر) .

(التوراة) وقد أنزلها الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام . قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا . . .﴾ (المائدة) .

وقال تعالى : ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ (النجم : ٣٦) .

(الإنجيل) وقد أنزله الله تعالى على نبيه عيسى عليه السلام . قال الله تعالى : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة : ٤٦) .

(الزبور) وقد أنزله الله تعالى على نبيه داود عليه السلام . قال الله تعالى : ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ (النساء) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الأنبياء) .

(صحف إبراهيم) وقد أنزلها الله تعالى على نبيه إبراهيم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ (الأعلى) .

فإن قيل وهل جميع هذه الكتب المنزلة هي من كلام الله تعالى؟

فقل : نعم . قال الله تعالى عن (القرآن) : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة : ٦) .

وقال تعالى : ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ...﴾ (الكهف : ٢٧) .

وقال تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ (الأنعام : ١١٥) .

وقال تعالى عن (التوراة) وتحريف اليهود لها . ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ (البقرة : ٧٥) .

وقال تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (النساء : ٤٦) .

وقال الله تعالى عن (مريم ابنت عمران) ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)﴾ (التحريم) .

الإيمان بالرسل

فإن سئلت عن الإيمان بالرسل؟

فقل : هو أن يؤمن العبد أن لله تعالى رسلاً من البشر أرسلهم الله تعالى لهداية الخلق مبشرين ومنذرين ، وليبلغوا عن الله رسالاته ، قد اصطفاهم الله على خلقه وخصهم برسالاته وجعلهم واسطة بينه وبين خلقه لتوصيل كلامه وشرعه وأحكامه . قال الله تعالى ﴿**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** (١٦٥)﴾ (النساء) .

فإن قيل لك وما معنى الرسول ، وهل هناك فرق بينه وبين النبي؟

فقل : الرسول : هو المبعوث المرسل من عند الله برسالة ومأمورٌ بتبليغها .

قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ (آل عمران : ١٦٤) .

والنبي : هو الذي يُنبأ بخبر من السماء .

والفرق بينهما : أن (الرسول) يُوحى إليه وينبأ بخبر من السماء وقد جاء برسالة من عند الله تعالى تتضمن (أوامر وشرائع وأحكاماً) وأمر بتبليغها .

(والنبي) يُوحى إليه ويُنبأ بخبر السماء ، ولم يأت برسالة جديدة ، وإنما جاء لتجديد رسالة من قبله من الرسل .

فالرسول أعم من النبي . فكل رسول نبي ، لأنه يأتيه الخبر من السماء ، وليس كل نبي رسولاً ، لأنه لم يأت برسالة جديدة ويُؤمر بتبليغها .

فإن سئلت عن الدين الذي بُعث فيه هؤلاء الرسل جميعاً؟

فقل : هو الإسلام . قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران : ١٩) .

فإن قيل لك وهل هناك أمة من الأمم لم يأتها رسول؟

فقل : لا . ما من أمة من الأمم إلا وقد جاءها رسول من عند الله تعالى (إلا ما كان من أفراد الناس ممن نشأ منهم في بيئة بعيدة ولم يسمع بالرسول والرسالة) .

قال الله تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ (فاطر) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل : ٣٦) .

فإن سئلت عن عدد الرسل؟

فقل : هم كثير لا يعلم عددهم إلا الله عزوجل ، فمنهم من قص الله علينا قصصهم في القرآن ومنهم من لم يقصص علينا . قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (غافر) .

والمقصوص علينا منهم في القرآن ما يقارب خمسة وعشرين ، وذكر منهم ثمانية عشر في قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ (الأنعام) .

والباقون وهم (سبعة) ذكروا في آيات متفرقة في كتاب الله تعالى وهم (آدم ، وإدريس ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وذو الكفل) .

وأما (شيث عليه السلام) فلم يذكر في القرآن الكريم، ولكن ذكر في السنة المطهرة في حديث أبي ذر رضي الله عنه.

فإن سئلت عمَّا يتميز به نبينا محمد ﷺ عن غيره من الرسل؟

فقل: في عموم الرسالة وعالميتها، فإنه أُرسل للناس كافة. بخلاف باقي الرسل الذين أُرسلوا إلى قومهم خاصة. قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ (الأعراف: ١٥٨). وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ (سبأ: ٢٨). وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)**﴾ (الأنبياء).

وقال ﷺ: «**فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**» رواه مسلم.

فإن قيل لك وهل انقطعت الرسالة بعد النبي ﷺ؟

فقل: نعم. يقول الله تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ (الأحزاب: ٤٠).

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي**» رواه أحمد.

وقال رسول الله ﷺ: «**إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**» رواه مسلم، والعاقب: الذي ليس بعده نبي.

الإيمان باليوم الآخر

فإن سئلت عن الإيمان باليوم الآخر؟

فقل : هو أن يؤمن العبد بكل ما أخبر الله تعالى به بعد الموت من البعث والوقوف بين يدي الله والحساب والجزاء والجنة والنار ، وما يتعلق بهذا اليوم من مقدمات . كالنفخ في الصور وأهوال يوم القيامة ، وما سوف يكون بعد نفخة البعث من حشر الناس وعرضهم على الله عزوجل وحسابهم ووضع الميزان والمرور على الصراط .

وهو يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لحسابهم ومجازاتهم . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ (الواقعة) .

ولعلك أن تُسأل لماذا سُمِّي يوم القيامة بهذا الإسم؟

فقل : سُمِّي يوم القيامة بهذا الإسم لأن فيه يقوم الناس لرب العالمين ، ويبعثون من قبورهم . قال الله تعالى : ﴿ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ (المطففين) .

فإن سئلت عن حال الإنسان في قبره بعد موته وقبل أن يبعثه الله؟

فقل : يُفتن وَيُعذَّب أو يُنعم بحسب عمله في هذه الدنيا إن كان صالحاً أو سيئاً . والقبر هو أول منازل الآخرة ، ومن مات فقد قامت قيامته . وهذا النوع من الحياة يُسمى بحياة البرزخ وهو الحاجز ما بين الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ

صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ (المؤمنون) .

وأما الدليل على أن من مات فقد قامت قيامته قوله صلى الله عليه وسلم لقوم من الأعراب وقد سألوه عن القيامة : فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال : «إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت ساعتكم» رواه مسلم .

فإن قيل وما الدليل على عذاب القبر ونعيمه؟

فقل : الأدلة من الكتاب والسنة كثيرة . منها : قول الله تعالى حاكياً عن آل فرعون : ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴿٤٦﴾﴾ (غافر) .

١ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم . قال فيأتيه ملكان فيُقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله . قال : فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، قال نبي الله ﷺ** : «**فيراهما جميعاً**» .

قال قتادة : (وذُكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ، ويُملأ عليه خضراً إلى يوم يُبعثون) رواه البخاري .

٢ ـ وفي حديث البراء بن عازب المشهور . قال رسول الله ﷺ في المؤمن : «**فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة . فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره**» **وقال في الكافر** «**فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار**

وافتحوا له باباً من النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه» رواه أحمد وأبو داود .

٣ ـ وعن عائشة رضي الله عنها . **أن يهودية دخلت عليها فقالت : نعوذ بالله من عذاب القبر (فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال ﷺ «نعم عذاب القبر حق» قالت عائشة رضي الله عنها فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلَّى إلا تعوذ من عذاب القبر)** رواه البخاري .

٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يدعو : «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال**» رواه البخاري .

٥ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما . قال : **مر النبي ﷺ على قبرين فقال : «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال : بلى . أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله . .**» الحديث رواه البخاري .

فإن قيل لك قد عرفنا القيامة الصغرى ، وأن من مات فقد قامت قيامته . فما هو ـ إذاً ـ شأن القيامة الكبرى؟

فقل : شأنها عظيم ، فقد قال الله تعالى فيها : **﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦)﴾** (النازعات) .

وذلك حين يأمر الله عز وجل إسرافيل (الموكل بالنفخ في الصور) بأن ينفخ فيه . قال ﷺ : «**إن إسرافيل قد التقم الصور وحَنَى جبهته ينتظر متى يؤمر**» رواه ابن جرير .

وقال ﷺ : «**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وَحَنَى جبهته واضعاً سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ**» **فكأن ذلك أثقل على أصحابه فقالوا كيف نفعل؟ وكيف نقول؟ قال : «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله»** رواه الترمذي وأحمد .

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو . قال : قال أعرابي : يا رسول الله ما الصور؟ قال : «قرنٌ ينفخ فيه» .

فينفخ اسرافيل في الصور نفختان (نفخة الصعق ، ونفخة البعث) .

قال الله تعالى : ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾**﴾ (الزمر) .

فالنفخة الأولى يُصعق فيها . ويفزع جميع من في السماوات والأرض من رؤية أهوال يوم القيامة .

قال الله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾** ﴾ (النمل) .

وقال الله تعالى : ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾**﴾ (الحاقة) .

وتكون هذه النفخة في يوم الجمعة ، لما رواه أبو داود وابن ماجه عن أوس عن النبي ﷺ : «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة**

علي» ، **قالوا : يا رسول الله . وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يقولون : بليت . فقال : «إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»** .

وأما النفخة الثانية فهي نفخة البعث ، فيبعث الله عز وجل الخلائق لمحاسبتهم ومجازاتهم .

قال تعالى : ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴿٦٨﴾﴾ (الزمر) .

وقال تعالى : ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ** ﴿٥١﴾﴾ (يس) .

وقال تعالى : ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ** ﴿٨﴾ **فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ** ﴿٩﴾ **عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ** ﴿١٠﴾﴾ (المدثر) .

قال ابن عباس ـ فيما يرويه البخاري ـ «فإذا نقر في الناقور» (أي : الصور ، قال «والراجفة» النفخة الأولى «والرادفة» الثانية) .

قال القرطبي في التذكرة : (فالنفخ في الصور إنما هو سبب لخروج أهل القبور وغيرهم ، فيعيد الله الرفات من أبدان الأموات ، ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطون السباع وغيرها ، حتى تصير كهيئاتها الأولى ، ثم يجعل فيها الأرواح فيقوم الناس كلهم أحياء حتى السقط ، وهذا السقط هو الذي تم خلقه ونفخ فيه الروح ، قال الله تعالى : ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ** ﴿٨﴾﴾ (التكوير) .

فدل على أن الموءودة تحشر وتسأل ، ومن قبرها تخرج وتبعث ، وأما من لم ينفخ فيه الروح فهو وسائر الأموات سواء)أهـ .

فإن سئلت وكم بين النفختين؟

فقل : أربعون . لما رواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**ما بين**

النفختين أربعون» قالوا : يا أبا هريرة؟ أربعين يوماً؟ قال : أبيت . قالوا : أربعين شهراً؟ قال : أبيت . قالوا : أربعين عاماً؟ قال : أبيت . قال صلى الله عليه وسلم : «**ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل**» وقال ﷺ : «**وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ، ومنه يُركَّب الخلق يوم القيامة**» مسلم .

ويكون أول من يُبعث وتنشق عنه الأرض هو نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، قال ﷺ : «**لا تفضلوا بين أنبياء الله ، فإنه ينفخ في الصور ، فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ـ قال : ثم ينفخ فيه أخرى ، فأكون أول من بُعث ، فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور ، أو بُعث قبلي**» رواه مسلم .

وأما قوله تعالى : ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨)**﴾ (الزمر) .

فإن «من شاء الله» هنا هم الذين ليسوا من أهل السماوات والأرض . فقيل : حملة العرش ـ ومنهم إسرافيل ـ وقيل جبريل وميكائيل وملك الموت ، وقيل أهل الجنة من الحور العين والولدان المخلدون ، لأنهم ليسوا من أهل السماوات والأرض وأنهم خلق خلقوا من أجل البقاء ، فلا يفنون . والله أعلم .

ثم يبعث الله عز وجل الخلائق لمجازاتهم ومحاسبتهم ، أما أهل الكفر فيقولون : ﴿ **يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢)** ﴾ (يس) .

فيبعث الله تعالى الخلق ، ويُبعث كل عبد على ما مات عليه .

قال ﷺ : «**يُبعث كل عبد على ما مات عليه**» رواه مسلم .

حتى إن الحاج أو المعتمر إذا أحرم ثم مات قبل أن يتم حجه بعثه الله ملبياً .

ففي صحيح مسلم عن ابن عباس أن رجلاً كان مع رسول الله ﷺ محرماً فوقصته ناقته فمات ، فقال رسول الله ﷺ : «**اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه في ثوبه ولا تمسوه بطيب ، ولا تخمروا رأسه ، فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً**» رواه مسلم .

وقال رسول الله ﷺ عن الشهيد الذي مات في سبيل الله : «**والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً ، اللون لون الدم والعرف عرف المسك**» متفق عليه .

أما آكل الربا فإنه يبعث يوم القيامة كالمجنون عقوبة له وتمقيتاً عند جميع أهل المحشر . حتى قال بعض أهل التفسير يجعل معه شيطان يخنقه ، فجعل الله هذه العلامة لأكلة الربا ، وذلك أنه أرباه في بطونهم فأثقلهم فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم . يقول الله تعالى : ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ (البقرة : ٢٧٥) .

قال أهل التفسير : المعنى لا يقومون من قبورهم .

أما النائحة على الميت فقد قال فيها رسول الله ﷺ : «**تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة الله ودرع من نار ، يدها على رأسها تقول : يا ويلاه**» رواه النسائي .

فيبعث الله تعالى الخلائق جميعاً ويدعوهم للخروج . قال سبحانه : ﴿**يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً (٥٢)**﴾ (الإسراء) .

وقال تعالى : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)**﴾ (الروم) .

وحينئذ ينادي مناد فيتبعون : ﴿ **الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا** (١٠٨)﴾ (طه) .

قال تعالى : ﴿**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ** (٤١) **يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ** (٤٢)﴾ (ق) .

قال محمد بن كعب القرظي : يحشر الناس يوم القيامة في ظلمه ، وتطوى السماء ، وتتناثر النجوم ، وتذهب الشمس والقمر ، وينادي مناد فيتبع الناس الصوت يومئذ ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿**يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ**﴾ .

فتخرج الخلائق من تلك الأرض . أما أهل الإيمان فإن الملائكة تتلاقاهم : ﴿**هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** (١٠٣)﴾ (الأنبياء) .

أما أهل الكفر فيقولون : ﴿ **يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** (٥٢)﴾ (يس) .

فيحشر الناس فرادى إلى الله تعالى في يوم يجعل الولدان شيباً ، كما قال سبحانه : ﴿**وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** (٩٥)﴾ (مريم) .

وقال سبحانه : ﴿**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة**﴾ (الأنبياء) .

فإن سئلت وأين يكون الناس بعد البعث وإلى أين يحشرهم الله عز وجل؟

فقل : يحشرهم إلى أرض المحشر ، إلى أرض يقال لها الساهرة : قال تعالى : ﴿**فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ** (١٣) **فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ** (١٤)﴾ (النازعات) .

وهي أرض بيضاء عفراء غير الأرض التي في الدنيا ، كأنها فضة ، لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة ، قال ﷺ : «**يحشر الناس يوم القيامة إلى أرض بيضاء عفراء كالقرصة النقي**» متفق عليه .

فيحشرهم الله عزوجل إلى هذه الأرض المبدَّله التي قال الله عنها : ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ** ﴾ (إبراهيم : ٤٨) .

فتبدل الأرض وتبدل السماوات ، وتكوَّر الشمس والقمر وتتناثر النجوم ، ويطوي الله عزوجل السماء كطي السجل للكتب . قال الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ** ﴾ (الأنبياء : ١٠٤) .

فإن سئلت وأين يكون الناس «يوم تبدل الأرض غير الأرض»؟

فقل : يكونوا في الظلمة دون الجسر .

روى مسلم في صحيحه عن ثوبان أن حبر من أحبار اليهود سأل النبي ﷺ : أين يكون الناس : ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ** ﴾ (إبراهيم :٤٨)

فقال ﷺ : « **هم في الظلمة دون الجسر** » .

والمراد بالجسر هنا : الصراط . أي قبل الصراط .

فيحشر الله عز وجل الخلائق ، ويحشر الكافرين والمجرمين يومئذ زرقاً ، قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا (١٠٣)** ﴾ (طه) .

أي زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال .

ويحشرون عمياناً على وجوههم ، قال تعالى : ﴿ **وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧)** ﴾ (الإسراء) . وقال سبحانه : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)** ﴾ (طه) .

وقد سأل رجلاً النبي ﷺ: أيحشر الكافر على وجهه؟ فقال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين قادراً أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتاده: حين بلغه: بلى وعزة ربنا (متفق عليه).

فإن سئلت عن صفة حشر الناس يومئذ؟

فقل: يحشرون حفاة عراة غرلاً ـ غير مختنين ـ قال تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** (٢٩)﴾ (الأعراف).

وروى مسلم عن ابن عباس، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** (١٠٤)﴾ (الأنبياء).

وإن أول الناس يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام.

وروى مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**» **قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال**: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**» متفق عليه.

وإن سئلت عن حال الناس في ذلك اليوم؟

فقل: يقفون موقفاً عظيماً في أرض المحشر، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فيه من الكرب العظيم، ما الله به عليم، وتدنو منهم الشمس مقدار ميل، ويلجمون في عرقهم إلجاماً، ويصيبهم من العطش والجوع والخوف العظيم، ما لم يُعهد عليهم من قبل قط، وحينئذ تخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً.

أما أهل الإيمان والتوحيد فإن الله تعالى يأمنهم في ذلك اليوم ويذهب عنهم الخوف والفزع . قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** (٨٢)﴾ (الأنعام) .

فإن قيل لك وما الخلاص من ذلك اليوم وهذا الموقف؟

فقل : لا خلاص من ذلك ولا مناص لأحد في هذا اليوم إلا من رحم الله تعالى ، ولكن الله سبحانه يجعل ذلك اليوم على أهل الإيمان والتقوى كالصلاة المكتوبة يصلونها في الدنيا .

فقد روي عن النبي ﷺ قوله : «**في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**» **فقال أبوسعيد الخدري : ما أطول هذا؟ فقال** ﷺ : «**والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا**» رواه أحمد وغيره ، وفي سنده كلام .

وروى مسلم عن المقداد عن النبي ﷺ قال : «**تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم مقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه إلجاماً**» قال : وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه .

فإن تساءلت : هل اختص الله تعالى لعباده شيئاً من رحمته في ذلك اليوم؟

قلنا : نعم . يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله عز وجل .

قال ﷺ : «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني**

أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» متفق عليه .

وفي رواية لمسلم ، قال رسول الله ﷺ : **«من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله»** .

وقال ﷺ : **«من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»** رواه مسلم .

وروى مسلم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : **«اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران : فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ـ أو كأنهما غيايتان ـ أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابها ، اقرؤوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة» قال معاوية : بلغني أن البطلة : السحرة** .

وفي رواية لمسلم أيضاً قوله ﷺ : **«كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شَرَقٌ»** .

وإن قلت وماذا أيضاً؟

قلنا : يسقي الله عز وجل أهل الإيمان في ذلك الموقف من حوض الكوثر ـ الذي أعطاه لنبيه ﷺ . ماءه أشد بياضاً من الثلج ، وأحلى من العسل ، وريحه أطيب من المسك ، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ، ولا يكون هذا إلا لأهل طاعته ، وأتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقد ضحك رسول الله ﷺ يوماً فقال : «نزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأ : **﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ۝٣﴾** (الكوثر)

ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر**»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه نهر وَعَدْنيه ربي عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال ما تدري ما أحدث بعدك**» رواه مسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «**إن حوضي أبعد من أيلة إلى عدن لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل واللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون عليَّ غراً محجلين من أثر الوضوء**» رواه مسلم

وفي رواية البخاري قال ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك. كيزانه كنجوم السماء من ورد، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً**».

وإن سئلت وماذا يكون بعد ذلك كله؟

قلت: لقد تقدم أن أهل الموقف في ذلك اليوم يجدون من الغم والكرب العظيم ما الله به عليم، وما لا يطيقون، فعندئذ يذهبون إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند الله عز وجل في أن يحاسبهم ويقضي بينهم ويريحهم من ذلك.

روى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنا سيّدُ الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممَّ ذلك؟ يُجمَعُ الناسُ ـ الأولين والآخرين ـ في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي، وينفذُهمُ البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغمِّ والكرب ما لا يُطيقون ولا يحتملون. فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم**،

فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له : أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنهُ نهاني عن الشجرة فعصيتُه ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح ، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول : إن ربي عزوجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله . وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ـ فذكرهن أبو حيان في الحديث ـ نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسي نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وكلمت الناس في المهد صبياً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ـ ولم يذكر ذنباً ـ نفسي

نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ . فيأتون محمدا ﷺ فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق ، فآتي تحت العرش فأقعُ ساجداً لربي عزوجل ، ثم يفتح الله علي من محامده وحُسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي . ثم يقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع . فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب . فيقال : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . ثم قال : والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير ، أو كما بين مكة وبُصرى» متفق عليه .

وهذا المقام الذي بلغه النبي ﷺ دون سائر الأنبياء هو المقام المحمود الذي وعده الله عزوجل لنبيه ﷺ بقوله : ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ (الإسراء) .

ففي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثياً كل أمة تتبع نبيها تقول : يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» .

وقد سئل ﷺ عن قوله سبحانه ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ (الإسراء) . فقال ﷺ : «**هي الشفاعة**» الترمذي .

ولعلك أن تسأل أي شفاعة هذه؟

قلت : إنها الشفاعة العامة التي يشفع بها النبي ﷺ لأهل الموقف للحساب والقضاء . وذلك أن الشفاعة شفاعتان :

١ ـ شفاعة عامة : لأهل الموقف جميعهم مؤمنهم وكافرهم في أن يراحوا من هول وغم وكرب موقفهم ، بأن يحاسبهم الله ويقضي بينهم .

٢ ـ وشفاعة خاصة : لأهل الإيمان من أصحاب الكبائر من أمته في أن يخرجهم من النار .

والأمة هنا أمتان :

أمة إجابة : وهم الذي استجابوا لله عزوجل ورسوله ، وأطاعوه .

وأمة دعوه : وهم عموم الناس مؤمنهم وكافرهم ممن بلغتهم دعوة النبي ﷺ .

ثم يأذن الله عزوجل بعد هذه الشفاعة ويشرع في محاسبة الخلق ، فتتطاير حينئذ الصحف . قال الله تعالى : ﴿ **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)** ﴾ (الإسراء) .

قال ابن عباس رضي الله عنه : طائره عمله .

وقال إبراهيم بن أدهم : كل آدمي في عنقه قلاده يكتب فيها نسخة عمله ، فإذا مات طويت ، وإذا بعث نشرت .

يقول الله عزوجل : ﴿ **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩)** ﴾ (الجاثية) .

فحينئذ تبيض وجوه وتسود وجوه . قال تعالى : ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)** ﴾ (الكهف) .

ويكون أول من يحاسب من الأمم أمة محمد . قال ﷺ : «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب» رواه ابن ماجه .

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠)﴾ (الحاقة) .

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦)﴾ (الحاقة) .

وقال تعالى : **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)﴾** (الإنشقاق) .

فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب .

ويكون أول ما يحاسب عليه العبد صلاته . فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله . كما قال ﷺ .

ويكون أول ما يقضى به بين الناس في الدماء . كما في الحديث .

ويقتص الله عزوجل للخلائق جميعاً حتى إنه ليقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء .

قال رسول الله ﷺ : «**من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه**» رواه البخاري .

وقال ﷺ : «**أتدرون من المفلس؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع .**

قال : **إن المفلس من أمتي ، من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناتُه قبل انقضاء ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار**» . رواه مسلم .

ثم يقف العبد بين يدي الله عزوجل ليس بينه وبين الله ترجمان .

روى مسلم في صحيحه عن عدي قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم ، وينظر أيسر منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرةٍ**» .

ولا تزول قدما عبد يومئذ حتى يسأل عن أربع . قال ﷺ : «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه؟ وعن جسده فيما أبلاه؟ وعن عمله ما عمل فيه؟ وعن ماله فيما اكتسبه وفيما أنفقه؟**» رواه الترمذي .

ويقرب الله تعالى عبده منه فيقرره بذنوبه . قال ﷺ : «**يدني الله المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه ، فيقول : إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته . وأما الكفار والمنافقون ، فينادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على الله**» متفق عليه .

وقال ﷺ : «**يؤتى بالرجل يوم القيامة . فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه وتخبأ كبارها ، فيقال له : عملت يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، ثلاث مرات ، قال : وهو يقر ليس ينكر . قال : وهو مشفق من الكبائر أن تجيء . قال : فإذا أراد الله به خيراً : أعطوه مكان كل سيئة حسنة . فيقول حين طمع : يا رب إن لي ذنوباً ما**

رأيتها ههنا» قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. ثم تلا ﴿فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: ٧٠) رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**» مسلم.

وقال ﷺ: «**من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة**» مسلم.

ويكرم الله عزوجل سبعون ألفاً من هذه الأمة يدخلون الجنة بغير حساب.

روى مسلم عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب» قالوا من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**».

وأما من أعرض عن الله ونسيه فإن الله عزوجل ينساه يوم القيامة قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ (الأعراف: ٥١).

قال ﷺ: «**يؤتى بالعبد يوم القيامة ـ فيقول الله عز وجل ـ ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخرت لك الأنعام والحرث وترأس وتربع. فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا. فيقول: اليوم أنساك كما نسيتني**» رواه الترمذي.

وعندئذ توضع الموازين فلا تظلم نفس شيئا. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)﴾ (الأنبياء).

ولعلك أن تسأل هنا ما هذه الموازين التي توضع؟

قلنا: إنها الموازين التي يوزن فيها أعمال العباد وحسناتهم وسيئاتهم.

قال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) ﴾ (القارعة .

وقال سبحانه : ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣)﴾ (المؤمنون) .

وقد جاء أن كفة الحسنات من نور ، والأخرى من ظلام ، والكفة النيِّرة للحسنات ، والكفة المظلمة للسيئات . والناس في الآخرة ثلاث طبقات : متقون لا كبائر لهم ، ومخلطون عصاة قد جاؤوا بالكبائر والفواحش ، وكفار . قال تعالى : ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) ﴾ (الواقعة)

فأما المتقون السابقون : فإن حسناتهم توضع في الكفة النيِّرة ، وصغائرهم ـ إن وجد لهم صغائر ـ في الكفة الأخرى ، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً ، وتثقل الكفة النيِّرة وترتفع المظلمة ، فيدخلون الجنة .

وما «شيء يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن» كما قال ﷺ . (ولكن ينبغي معرفة أن الصغائر قد تجتمع على العبد فلا تبرح حتى تهلكه أو تؤدي به إلى الوقوع في الكبائر) .

وأما العصاة المخلطون : فحسناتهم توضع في الكفة النيِّرة ، وسيئاتهم في الكفة المظلمة ، فيكون لكبائرهم ثقل ، فإن كانت الحسنات أثقل دخلوا الجنة ، وإن كانت السيئات أثقل دخلوا النار ـ إلا أن يغفر الله تعالى لهم ـ وإن تساوت الحسنات مع السيئات كانوا من أصحاب الأعراف الذي جاء ذكرهم في القرآن .

والأعراف : هو الحجاب والسور الحاجز ما بين الجنة والنار .

وأما الكافر : فإنه يوضع كفره في الكفه المظلمه ، ولا يوجد لـه حسنه توضع في الكفة الأخرى ، فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير ، فيأمر الله به إلى النار .

ثم يأمر الله الناس فيقول سبحانه ـ كما في الحديث ـ «من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت» البخاري ، وفي رواية قال ﷺ : «**ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد ، فيمثل لصاحب الصليب صليبه ، ولصاحب التصاوير تصاويره ، ولصاحب النار ناره ، فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون**» رواه الترمذي .

ثم قال ﷺ : «**وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها . فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون . فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه» متفق عليه .**

وفي رواية أحمد في المسند عن أبي موسى : «**فيقول : ما تنتظرون؟ فيقولون : ننتظر ربنا . فيقول : هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون : نعم . فيقول : وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون : إنه لا عدل له» . أي : لا مساوي ولا شبيه ولا مثيل له سبحانه في عظمته وكبريائه ونوره وجلاله . تعالى وتقدس .**

قال القرطبي : قوله «فيأتيهم الله في صوره غير صورته التي يعرفون» هذا موضع الإمتحان ليميز المحق من المبطل ، وذلك أنه لما بقي المنافقون والمراءون متلبسين بالمؤمنين والمخلصين زاعمين أنهم منهم ، وأنهم عملوا مثل أعمالهم وعرفوا الله مثل معرفتهم امتحنهم الله بأن أتاهم بصوره . قال للجميع : أنا ربكم

فأجاب المؤمنون بإنكار ذلك والتعوذ منه لما قدسبق لهم من معرفتهم بالله عزوجل في دار الدنيا ، وأنه منزه عن صفات هذه الصور إذ سماتها سمات المحدثات . ولهذا قال في حديث أبو سعيد الخدري . فيقولون : «نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً ـ مرتين أو ثلاثاً ـ حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب» . رواه مسلم أهـ(١)

وجاء في رواية أبي سعيد بعد قوله «حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون : نعم ، فيكشف عن ساق» وفي هذا يقول الله عزوجل : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)**﴾ (القلم) .

ثم قال ﷺ : «**فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه . ثم يرفعون رؤوسهم . وقد تحول في الصورة التي رأوا فيها فيقول : أنا ربكم؟ فيقولون : أنت ربنا**» . رواه مسلم

فحينئذ يُضرب الصراط للعبور عليه إلى الجنة .

ولعلك أن تسأل : وما هذا الصراط الذي يضرب هنا للعبور عليه؟

قلنا : إنه الصراط الذي يضرب على متني جهنم وفوقها ، وجهنم أسفل منه ، يجوزه الناس للعبور عليه إلى الجنة . وقد جاء أنه أدق من الشعر وأحد من السيف .

(١) قال القرطبي : قال شيخنا أبوالعباس أحمد بن عمر في كتاب «المفهم لشرح اختصار كتاب مسلم» (وهذا لمن لم يكن له رسوخ العلماء ولعلهم الذين اعتقدوا الحق وجزموا عليه من غير بصيرة ولذلك كان اعتقادهم قابلاً للإنقلاب . والله أعلم) .

وكلما كان الإنسان أثبت على صراط الله في هذه الدنيا . كلما كان أثبت على صراط الآخره . قال تعالى : ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (١٥٣)﴾ (الأنعام) .

وكلما كان الإنسان أسرع إلى الكفر ومعصية الله . كلما كان أسرع إلى الوقوع في النار .

فأسرع الناس وقوعاً في جهنم هم الطواغيت والجبابره وأئمة الكفر ، ثم يلونهم من عَبَدَ الطاغوت من الكفرة والمشركين واليهود والنصارى والمنافقين وغيرهم ، ثم يلونهم أهل الكبائر والفسق والفجور ، وهكذا .

وكلما كان الإنسان أسرع في استجابته لأمر الله في الدنيا . كلما كان أسرع عبوراً ومروراً على صراط الآخره . حتى إن منهم ـ كما قال ﷺ ـ من تكون سرعته كطرف العين ، ومنهم من تكون كالبرق الخاطف ، ومنهم كالريح ، ومنهم كالطير وكأجاويد الخيل والركاب .

وكلما أبطأ الإنسان عن طاعة الله في الدنيا . كلما كان أبطأ على صراط الآخره .

وقد جاء في الأثر عن ابن مسعود «حتى يمر الرجل سعياً ، وحتى يمر الرجل ماشياً ، ثم يكون آخرهم رجلاً يتلبط على بطنه . يقول : يا رب لم أبطأت بي؟ فيقول : لم أبطئ بك إنما أبطأ بك عملك» . رواه ابن أبي شيبة والحاكم

وكلما كان الإنسان مستنيراً بنور الله ونور الإيمان في الدنيا . كلما قوى نوره في الآخرة وعلى الصراط .

فإن من أحياه الله تعالى بنوره في الدنيا . كان حقاً على الله أن يتم له ذلك

النور ويعظمه له في الآخره . قال الله تعالى : ﴿**يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (٨)﴾ (التحريم) .

وقال سبحانه : ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** (١٢)﴾ (الحديد : ١٢) .

وقال سبحانه : ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٢٢) ﴾ (الأنعام) .

وقال عزوجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٢٨) ﴾ (الحديد) .

وقال عزوجل : ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** (٢٢)﴾ (الزمر) .

إنه نور الإيمان بالله تعالى ، ونور الفطره ، ونور العقل ، ونور الشرع . الذي أودعه الله تعالى في قلب عبده المؤمن ـ حتى كان سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ـ فعرف بهذا النور ربه عزوجل وخالقه وفاطره ، وعرف به نفسه ، وعرف به حقيقة وجوده في هذه الأرض ، فتفكر في نفسه ونظر إلى ما حوله من الآيات الكونيه والدلائل في السماوات والأرض فآمن بالله ﴿**وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ** (١٠١) ﴾ (يونس) .

وعرف أنه راجع إلى ربه لا محاله . فاستعد لهذا اللقاء ، وبكى على خطيئته ، وأخذ هذا الدين بحقه ، واستجاب لأمر الله . فكان حقاً على الله أن يحييه أعظم حياه . قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴿٢٤﴾﴾ (الأنفال) .

وأما من نسي الله تعالى في هذه الدنيا كان حقّاً على الله أن ينسيه نفسه وآخرته . قال تعالى : ﴿**فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴿٥١﴾﴾ (الأعراف) .

وقال سبحانه : ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴿١٩﴾﴾ (الحشر) .

وكان حقّاً على الله عزوجل أن يذره في الظلمات يتخبط فيها ويتمها ويعظمها له في الآخرة . فهي ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴿٤٠﴾﴾ (النور) .

ومن ﴿**كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً** ﴿٧٢﴾﴾ (الإسراء) .

قال تعالى : ﴿**كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٢٢﴾﴾ (الأنعام) .

لذلك حَرَّم الله على أهل النفاق هذا النور ، وأبدلهم ـ به ظلمه ـ يجدونها إلى يوم يلقونه وفي الآخرة ـ بعدما استناروا به في الدنيا وعرفوا الله ودينه . فآثروا الكفر والنفاق على الإيمان ، وجعل مثلهم ﴿**كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ** ﴿١٧﴾﴾ (البقرة)

فذهب الله سبحانه بمادة النور وسلبهم إياها ، ولم يبقى لهم من النار إلا مادة الإحراق . فعذبهم بها بما قد أظهروه من الإيمان بمخادعة أهله وإبطانهم للنفاق والشك والريبه .

وأما في الآخره فإن الله تعالى يخادعهم كما خادعوه في الدنيا . فإنهم في وقوفهم في صفوف أهل الإيمان في الظلمة دون الجسر ـ عند عبور الصراط ـ يهبهم الله من النور كما يهب أهل الإيمان . حتى إذا اطمأنوا به وأرادوا مجاوزة الصراط سلبهم هذا النور كما سلبهم إياه في الدنيا . فيذرهم في الظلمات لا يبصرون . فيقولون حينئذ لأهل الإيمان ﴿**انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)**﴾ (الحديد) .

فحينئذ تتخطفهم الكلاليب ويتساقطون عن الصراط في جهنم كما تساقطوا في الكفر والنفاق والريبه في هذه الدنيا ، ويجعلهم الله في الدرك الأسفل من النار . فهذا هو حالهم في الآخرة .

ولك أن تتأمل ـ أخي ـ وتتفكر في حال الناس وهم في الظلمه دون الجسر ، وقد اجتمعت وتراكبت عليهم الظلمات بعضها فوق بعض ومن كل مكان ، وقد قُدِّموا للعبور على الصراط الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف ، وجهنم أسفل منهم سوداء مظلمه يحطم بعضها بعضاً ، ويرتفع لهيبها وشررها في أفضع وأرعب موقف لم يُر مثله قط . والكلاليب تتخطف الناس وهم

يجوزون الصراط ويتساقطون عنه أفواجاً وواحد تلو الآخر ، فلا ينجو من ذلك إلا أهل التقوى ، وهو مصداق قوله تعالى : ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)**﴾ (مريم) .

أما الطواغيت والجبابره وأئمة الضلال . فإنهم ـ كما تقدم ـ يتساقطون فيها أسرع تساقط ، ثم يلونهم عَبَدَ الطاغوت وأهل الشرك واليهود النصارى والمنافقين ، ثم يلونهم أهل الكبائر من أهل الإسلام ـ إن لم يغفر الله لهم ـ يتساقطون فيها وتتخطفهم الكلاليب من كل مكان ، فيعذبون في النار على قدر ذنوبهم ، ويكونوا فيها ما شاء الله أن يكونوا . إلا أن يغفر الله تعالى ويشفّع فيهم أنبيائه والصالحين . أما أهل الصغائر ـ وإن كانت صغائرهم تُكفّر باجتنابهم للكبائر ـ إلا أن الصغائر قد تجتمع فتهلك صاحبها . سيما إذا داوم عليها والتزم فعلها من غير توبه . وقد قال ﷺ : «**إياكم ومحقرات الذنوب**» **وضرب مثلاً على ذلك فقال** ﷺ : «**كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى انضجوا خبزتهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**» رواه أحمد .

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ قوله «**حرمت النار على عين غضت عن محارم الله**» رواه النسائي وغيره .

وقد أمر الله تعالى بغض البصر كما في سورة النور ، وذكر بعد هذا الأمر آية النور ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾ (النور :٣٥) للدلالة على أن غض البصر عن محارم الله من أعظم ما يقوى به نور الله في قلب العبد ، وأن من لم يتزود بهذا النور في الدنيا فيغض بصره فإنه

يخشى أن يأتي على الصراط ليس له من النور إلا موضع قدميه فينطفئ أحياناً ويبدو أحياناً . فتزل قدم بعد ثبوتها .

كما أن العبد بحاجة إلى النور ليجوز الصراط وسلب هذا النور أو إضعافه قد يكون سبباً في سقوطه أو أن تتخطفه الكلاليب فتخدشه . كما قال ﷺ : «**فمخدوش ناج ، ومنكوس في النار**» .

ومما جاء أيضاً عن النبي ﷺ قوله : «**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان . هل رأيتم السعدان؟** » **قالوا : نعم يا رسول الله . قال :** «**فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله . تخطف الناس بأعمالهم . فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجو**» رواه مسلم .

وقال ابن كثير في النهاية ـ عند قول النبي ﷺ ـ عندما سئل : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ قال : «**هم في الظلمه دون الجسر**» رواه مسلم .

والمراد بالجسر هنا : الصراط ، أي : قبل الصراط .

قال رحمه الله : (وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ، ويسبقهم المؤمنون ، ويحال بينهم وبينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم . كما قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ**

بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ (الحديد) أهـ .

وجاء في رواية البيهقي عن ابن مسعود . قوله : «**فيعطون نورهم على قدر أعمالهم» قال : «فمنهم من يُعطى نوره مثل النخلة بيمينه ، ومنهم من يُعطى دون ذلك ـ بيمينه ، حتى يكون آخر من يُعطى نوره على إبهام قدمه يمضي مرة وينطفئ مرة ، إذا أضاء قدَّم قدمه ، وإذا انطفأ قام»** .

وقال الضحاك : ليس أحد إلا يعطى يوم القيامة نوراً ، فإذا انتهوا إلى الصراط أطفئ نور المنافقين ، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما أطفئ نور المنافقين . فقالوا : ﴿**رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا**﴾ (التحريم : ٨) .

وجاء في رواية اسحاق بن بشير عن ابن عباس عن النبي ﷺ «**إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ؛ ستراً منه على عباده ، فأما عند الصراط . فإن الله يعطي كل مؤمن نوراً ، وكل منافق نوراً . فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات ، فقال المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ وقال المؤمنون ﴿ربنا أتمم لنا نورنا﴾ ولا يذكر عند ذلك أحد**» .

فصل

في ذكر حال الفريقين عند مجاوزة الصراط

فريق في الجنة وفريق في السعير

لقد سلف ذكر حال الفريقين عند مجاوزة الصراط . وما يقع لأهل الكفر والكبائر في تساقطهم في نار جهنم أفواجاً وواحد تلو الآخر . ﴿**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)**﴾ (فاطر) .

إنها نار الله . وما أدراك ما نار الله . النار الموقده ـ التي تطلع على الأفئده ـ قال ﷺ : «**أوْقدَ على النار ألف سنة حتى أحمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة**» رواه الترمذي .

وروى مسلم عن ابن مسعود : قال : قال رسول الله ﷺ : «**يُؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام . مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**» .

وقال ﷺ : «**ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء واحد من سبعين جزء من حر جهنم . قالوا : والله إن كانت لكافيه؟ قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزء ، كلهن مثل حرها**» رواه أحمد .

وقال رسول الله ﷺ : «**يُؤتى بأنعم أهل الدنيا ، من أهل النار ، يوم القيامة . فيصبغ في النار صبغة : ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول : لا . والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بُؤساً في الدنيا ، من أهل الجنة ، فيصبغ صبغة في الجنة . فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول : لا . والله يا رب ما مر بي بؤس قط . ولا رأيت شدة قط**» رواه مسلم .

وفي رواية لابن ماجه : «**فيقول : اغمسوه في النار غمسه . فيغمس فيها ثم يخرج**» .

وهم في هذا العذاب ﴿**لابثين فيها أحقابا (٢٣) لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا (٢٤) إلا حميما وغساقا (٢٥) جزاء وفاقا (٢٦)**﴾ (عم) .

قال تعالى : ﴿**يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٦٦)**﴾ (الأحزاب) .

وكلما نضجت جلودهم بدلهم الله بغيرها . قال عزوجل : ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما (٥٦)**﴾ (النساء) .

﴿**لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور (٣٦)**﴾ (فاطر) .

ينادون مالك خازن النار ﴿**يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون (٧٧)**﴾ (الزخرف) .

فلا يجدون إلى ذلك سبيلا . ويستغيثون بالله عزوجل ﴿**ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون (١٠٧) قال اخسئوا فيها ولا تكلمون (١٠٨)**﴾ (المؤمنون) .

وعندئذ يزدادوا عذاباً فوق هذا العذاب ﴿**ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا (٤٠)**﴾ (عم) هذا نزلهم يوم الدين وهذه منازلهم أعاذنا الله منها .

فأين هؤلاء من أصحاب الجنة الذين هم في ﴿**شغل فاكهون . هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون . لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولا من رب رحيم**﴾ (يس) .

روى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال : «**إذا خلص المؤمنون من الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة**» .

وعندئذ يأذن الله لهم بدخولها . فتتلقاهم الملائكة ﴿**سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** (٧٣)﴾ (الزمر) .

إنها جنة الله . وما أدراك ما جنة الله . إنها جنة الخلد التي أعدها الله لعباده المؤمنين . قال الله تعالى في الحديث القدسي المتفق على صحته :

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر . قال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٧)﴾ (السجدة) .

قال تعالى : ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (٧١)﴾ (الزخرف) .

وقال سبحانه : ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** (١٣٣)﴾ (آل عمران) .

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه : «**ألا مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها ، هي ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مُطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، في مقام أبداً ، في حبرة ونضرة . في دور عالية سليمة بهية**» **قالوا : نحن المشمرون لها ، يا رسول الله قال : «قولوا : إن شاء الله» ثم ذكر الجهاد وحض عليه**» رواه ابن ماجه .

وروى أحمد والترمذي عن أبي هريرة قال : قلنا يا رسول الله أخبرنا عن

الجنة ما بناؤها؟ قال : «**لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، ملاطها المسك الأذفر ، حصباؤها الياقوت واللؤلؤ ، وتربتها الورس والزعفران ، من يدخلها يخلد لا يموت ، وينعم لا يبأس ، لا يبلى شبابهم ، ولا تخرق ثيابهم**» .

وفي رواية : «**وحشيشها الزعفران**» .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله لابن صائد : «**ما تربة الجنة؟**» **قال : درمكة بيضاء ، مسك . يا أبا القاسم قال** ﷺ : «**صدقت**» .

وروى الترمذي في سننه عن النبي ﷺ أنه قال : «**إن في الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الخمر ، ثم تنشق الأنهار بعد**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)**﴾ (محمد) .

وروى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ـ أراه قال : وفوقه عرش الرحمن ـ ومنه تفجر أنهار الجنة**» .

وروى أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا**

يمتخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة الألنجوج عود الطيب ، وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء» .

وقد وصف الله تعالى تلك الأزواج بالياقوت والمرجان واللؤلؤ المكنون : ﴿**وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣)**﴾ (الواقعة) .

وقال تعالى : ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧)** ﴾ (الرحمن) .

والحور : جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة بياض العين شديدة سوادها . قال ﷺ : «**حور بيض عين ضخام العيون . شفر الجفون بمنزلة جناح النسر**»[(١)]

والعين : هي العيناء عظيمة العينين . قال مجاهد : هي التي يحار فيهن الطرف .

«**كأمثال اللؤلؤ المكنون**» قال ﷺ : «**صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي «كأنهن بيض مكنون»** . قال : «**رقتهن كرقة الجلد التي في البيضة مما يلي القشر**» رواه الطبراني .

وقيل : البيض حين يقشر قبل أن تمسه الأيدي .

قال ﷺ : «**إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بأن الله تعالى يقول «كأنهن الياقوت والمرجان» فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لأريته من ورائه**» رواه الترمذي .

---

(١) رواه ابن جرير والطبراني ، وابن مردويه .

وقال ابن مسعود : «يرى مخ ساقها من تحت سبعين حله كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء» .

وروى أحمد عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ قال : «**إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأته ، فتضرب على منكبيه ، فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة ، وأن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب ، فتسلم عليه . قال : فيرد السلام ، ويسألها من أنت؟ فتقول : أنا من المزيد ، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ، أدناها مثل النعمان من طوبى ، فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب**» .

وقال رسول الله ﷺ : «**لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**» متفق عليه .

قال مجاهد : «إنه ليوجد ريح المرأة من الحور العين من مسيرة خمسين سنة»(١) .

قال ﷺ : «**سطع نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها**»(٢) .

قال ﷺ : «**لو أن حوراء بصقت ـ أو بزقت ـ في بحر لجي لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها**»(٣) .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة . (٢) رواه أبو نعيم .

(٣) رواه أبو الشيخ وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا وأبو نعيم .

وقال ﷺ : «**ينظر إليها أربعين سنة لا يصرف بصره**»[١] .

وقال ﷺ : «**خلق الله الحور العين من الزعفران**»[٢] .

وجاء في صفة غرف أهل الجنة . قوله ﷺ : «**إن في الجنة لغُرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها ، فقام إليه أعرابي ، فقال : لمن هي يا نبي الله؟ قال : هي لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى لله بالليل والناس نيام**» . رواه الترمذي .

وقال ﷺ : «**إن أهل الجنة يتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما يتراؤون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال : بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**» متفق عليه .

وفي هذا يقول الله عزوجل : ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ** ﴿٢٠﴾﴾ (الزمر)

وقال رسول الله ﷺ : «**إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون وجنتان من فضة ، آنيتهما وما فيها ، وجنتان من كذا ، آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا الكبر على وجهه في جنة عدن**» متفق عليه .

وروى الترمذي عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : «**يُعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع ، قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال : يُعطى قوة مائة**» .

---

(١) رواه أبو نعيم .

(٢) رواه الطبراني وابن أبي حاتم والبيهقي .

وروى مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «**إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم . فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً . فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً . فيقولون : وأنتم ، والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً**» .

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : «**إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك . ربنا وسعديك . والخير في يديك . فيقول : هل رضيتم؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى؟ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول : أحل عليكم رضواني . فلا أسخط عليكم بعده أبداً**» .

وروى مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال : «**إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجِّنا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب . فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزوجل**» .

وفي رواية أحمد : «ثم تلا قوله تعالى : ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزياده**﴾» .

فالحسنى : هي الجنة ، والزيادة : هي النظر إلى الله عزوجل .

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ . إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال : «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر . لا تضامون في رؤيته . فإذا استطعتم أن لا تُغْلبُوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» يعني العصر والفجر ثم قرأ جرير : ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾ (طه : ١٣٠) متفق عليه .

وفي هذا يقول الله عزوجل : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ (القيامة) .

أما أصحاب الكفر فإنهم محجوبون عن الله عزوجل والنظر إليه قال الله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ (المطففين) .

وروى مسلم عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ـ زاد أبو كريب ـ فيوقف بين الجنة والنار ـ واتفقا في باقي الحديث ـ فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم . هذا الموت . قال : ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم . هذا الموت . قال : فيؤمر به فيذبح . قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت . ويا أهل النار خلود فلا موت**» . قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٩)﴾ (مريم) . وأشار بيده إلى الدنيا .

وهو مصداق قوله تعالى عن أهل الجنة : ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦)﴾ (الدخان) .

وقوله تعالى عن أهل النار : ﴿لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦)﴾ (فاطر) .

فصل
في ذكر الركن السادس
من أركان الإيمان الإيمان بالقدر

فإن سئلت عن الإيمان بالقدر؟

فقل: هو أن يؤمن يعبد بأن كل ما وقع وكان وما سوف يقع ويكون من الخير والشر كله بأمر الله وقدره الذي قدَّره سبحانه وَعَلِمَه وكتبه قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأحزاب).

روى مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله. ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا لم يُصبني كذا. ولكن قل: قدَّر الله. وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

وفي المسند عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ولو كان لك جبل أحد أو مثل جبل أحد ذهباً أنفقته في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار**» رواه أحمد.

وروى مسلم عن يحيى بن يعمر أنه لقي عبدالله بن عمر فقال له: «**يا أبا**

عبدالرحمن ! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم ـ وذكر من شأنهم ـ وأنهم يزعمون أن لا قدر . وأن الأمر أنف . قال : «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم براء مني ، والذي يحلف به عبدالله بن عمر ! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر» .

ثم ذكر حديث جبريل في مراتب الدين الثلاث عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

وروى أحمد والترمذي عن الوليد بن عبادة بن الصامت . قال : «**دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه أوصني واجتهد لي ، فقال : أجلسوني ، قال : يا بني إنك لن تطعم طعم الإيمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : قلت : يا أبتاه فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال : تعلم ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ، ثم قال : اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار**) .

والقدر : هو كل ما وقع وما سوف يقع من الحوادث اليومية والكونية للخلق والخلائق أجمعين ، وأفعال العباد ، وغير ذلك .

وهذا المقدَّر الذي وقع وسيقع قد جُعل على أربع مراتب :

أولها : العلم ، وثانيها : الكتابة ، وثالثها : المشيئة والإرادة ، ورابعها : الخلق .

فأما **المرتبة الأولى** : فهي علم الله السابق لهذا القدر الكائن ومعرفته به قبل وقوعه ، وقبل إيجاد الخلق ، وكل شيء .

قال تعالى : ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ (الطلاق) .

وقال تعالى : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ (سبأ) .

روى مسلم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مولود إلا يلد على الفطرة . فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه» فقال رجل : يا رسول الله أرأيت لو مات قبل ذلك قال «الله أعلم بما كانوا عاملين» متفق عليه .

والمرتبة الثانية : كتابة الله تعالى لهذا القدر قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .

قال تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الحديد) .

وقال تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ (يونس) .

وقال تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (القمر) .

وروى أبو داود والترمذي عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب . قال : رب وماذا أكتب؟ قال : مقادير**

كل شيء حتى تقوم الساعة» وقال لابنه : **يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من مات على غير هذا فليس مني»** .

وروى مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة . قال : وعرشه على الماء**» .

وروى البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : «**كان الله ولم يكن شيء غيره . وكان عرشه على الماء . وكتب في الذكر كل شيء . وخلق السماوات والأرض**» .

وروى الترمذي وأحمد عن ابن عباس ، قال : «**كنت خلف النبي ﷺ يوماً ، فقال : «يا غلام ، إني أعلمك كلمات : إحفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» .

وروى مسلم عن علي ، قال : «**كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله . فقعد وقعدنا حوله . ومعه مخصرة . فنكس فجعل ينكت بمخصرته . ثم قال : «ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة ، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار . وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة» قال : فقال رجل : يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا ، وندع العمل؟ فقال : «من كان من أهل السعادة ، فسيصير إلى عمل أهل السعادة . ومن كان من أهل الشقاوة ، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة» . فقال : «اعملوا فكل ميسر . أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة . وأما**

أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة» . **ثم قرأ** : ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠**﴾ (الليل) متفق عليه .

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (**يا رسول الله إنا نصيب سبياً فنحب الأثمان فكيف ترى في العزل؟ فقال** ﷺ : «**أو إنكم تفعلون ذلك؟ لا عليكم أن لا تفعلوا ذلكم ، فإنها ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي خارجة**» .

وروى الترمذي عن عبدالواحد بن سليم ، قال : «قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت له : يا أبا محمد ، إن أهل البصرة يقولون في القدر ، قال : يا بني ، أتقرأ القرآن؟ قلت : نعم ، قال : فاقرأ الزخرف ، قال : فقرأت : ﴿**حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤**﴾ (الزخرف) قال : أتدري ما أم الكتاب؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماء وقبل أن يخلق الأرض ، فيه أن فرعون من أهل النار ، وفيه ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١**﴾ (المسد)» .

المرتبة الثالثة : مشيئته وإرادته سبحانه بوقوع ذلك المقدور ، فما شاء الله وأراده كان ووقع ، وما لم يشأ ويرد لم يمكن وقوعه .

قال تعالى : ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٩٩**﴾ (يونس) .

وقال تعالى : ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣**﴾ (السجدة) .

وما مشيئة العبد وإرادته إلا تبع لمشيئة الله عزوجل قال تعالى : ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)**﴾ (التكوير) .

المرتبة الرابعة : وهي خلق الله تعالى لهذا القدر الكائن وإيجاده له .

قال تعالى : ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)**﴾ (الصافات) .

فكما أنه سبحانه هو الخالق لكل شيء . فكذلك هو الخالق لتلك المقادير والأعمال التي تصدر من الخلق من حوادث وغير ذلك .

قال تعالى : ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً (٢)**﴾ (الفرقان) .

وقال ﷺ : «**اعملوا فكلٌ ميسَّر لما خلق له**» رواه مسلم .

وفي المسند عن عبدالرحمن بن قتادة السلمي أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إن الله عزوجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي**» **قال : فقال قائل : يارسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال** : «**على مواقع القدر**» رواه أحمد .

وروى الترمذي وأحمد عن أبي خزامة عن أبيه قال : «**سألت رسول الله قلت : يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواءً نتداوى به وتقاة نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال** ﷺ : «**هي من قدر الله**» قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

فصل
في ذكر المرتبة الثالثة من مراتب الدين
الإحسان

فإن سئلت عن المرتبة الثالثة من مراتب الدين وهي الإحسان؟

فقل : كما قال ﷺ : «**الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» .

وهي أعلى مراتب الدين وأفضلها على الإطلاق . وقد امتدح الله تعالى أهلها في آيات كثيره من كتابه . فقال سبحانه : ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴿١٢٨﴾﴾ (النحل) .

وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴿٦٩﴾﴾ (العنكبوت) .

وقال تعالى : ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴿١١٢﴾﴾ (البقرة) .

والإحسان قد قام على مقامين كريمين :

المقام الأول : وهو أعلاها . في قوله ﷺ : «**أن تعبد الله كأنك تراه**» . وهو مقام المشاهده : فكأنه يشاهد الله عزوجل ويراه بقلبه ونور بصيرته الذي بصَّره الله تعالى به بما وصل إليه من منازل الإيمان العظيمة والمقامات الرفيعة . حتى صار عنده الغيب كالعيان .

وفي حديث حارثة المرسل أن النبي ﷺ قال له : «**يا حارثة كيف أصبحت؟**»

قال أصبحت مؤمناً حقّاً . قال : «انظر ما تقول ، فإن لكل قول حقيقة» قال : يا رسول الله : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار في النار كيف يتعاوون فيها . قال : «أبصرت فالزم ، عبد نَوَّر الله تعالى بصيرته» .

وقد روي عن بعض السلف : أنه لو انكشف له الغيب ما استطاع أن يزيد على عمله شيئاً .

وأما المقام الثاني : فهو في قوله ﷺ «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» .

وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾**﴾ (الشعراء) .

وهذا المقام يستحضر فيه العبد مراقبة الله عزوجل له . فيجتهد على القيام بأمره مستيقناً أن الله ناظرٌ إليه ومطلع على أعماله وسريرته ، فيجد في عمل الطاعه والعبادة . لعل الله أن يرفعه إلى المقام الأول : فيعبد الله كأنه يراه . وهذا المقام قد امتدح الله أهله بقوله : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾**﴾ (الذاريات) ثم فسر إحسانهم هذا بقوله : ﴿**كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾**﴾ (الذاريات) .

وقد تقدم في الحديث تفسير قوله عزوجل : ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ (يونس : ٢٦) .

وأن الحسنى : هي الجنة ، والزيادة : هي النظر إلى وجه الله عزوجل ، وذلك أن أهل الإيمان والإحسان لما عبدوا الله تعالى بهذه المقامات الرفيعة من الحضور والمراقبة كأنهم يرون الله في قلوبهم . جازاهم الله تعالى في الجنة في النظر إلى وجهه الكريم سبحانه . كما قال تعالى : ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)**﴾ (القيامة) .

وأما أهل الكفر فإنهم لما أعرضوا عن الله عزوجل وعبادته ، وحجبوا أنفسهم عن الله ودينه . جازاهم الله تعالى بأن حجب قلوبهم عنه في هذه الدنيا وعن رؤيته في الآخرة . كما قال عزوجل : ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)**﴾ (المطففين) .

الأصل الثالث

في معرفة العبد نبيه ﷺ

فإن سئلت ـ يا عبدالله ـ عن نبيك؟

فقل : هو النبي الأمين الذي أرسله الله رحمة للعالمين . بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . قال تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (١٠٧)﴾ (الأنبياء) .

وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من كنانة ، وكنانة من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل ، وإسماعيل من إبراهيم ، وإبراهيم من نوح ، ونوح من آدم ، وآدم من تراب .

وقد أرسله الله تعالى كافة للناس . قال تعالى : ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** (١٥٨)﴾ (الأعراف) .

فإن سئلت وبأي شيء أرسله الله تعالى؟

فقل : أرسله الله تعالى بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان وأن يُعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً .

روى مسلم عن أبي أمامة قال ، **قال عمرو بن عبسة السلمي ، كنت وأنا في الجاهلية ، أظن أن الناس على ضلالة . وأنهم ليسوا على شيء . وهم يعبدون الأوثان . فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً . فقعدت على راحلتي . فقدمت**

عليه. فإذا رسول الله مستخفياً، جرءاء عليه قومه. فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة. فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي» فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله» فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء» قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حر وعبد» قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به فقلت: إني متبعك. قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا. ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك. فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني».

فإن سئلت عن مولده؟

فقل: ولد ﷺ بمكة عام الفيل، وهاجر إلى المدينة وبها توفي، وبعثه الله على رأس أربعين سنه من عمره، وأوحى له بذلك.

فنبئ بـ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ (العلق).

وأرسل بـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾ (المدثر).

فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة. الثلاث الأول منها يدعو سراً. حتى أنزل الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)﴾ (الحجر). فأكمل العشر الباقي جهراً.

فأوذي في الله تعالى ـ ومن معه ـ أشد إيذاء، وحوصروا في الشعب

والجبال وابتلوا أشد بلاء . حتى جاء أمر الله لنبيه بالهجرة من مكة ، فهاجر إلى المدينة . وهي طيبة ـ طيبها الله ـ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين» .

وفي المدينة انطلقت دعوته ﷺ لإقامة دين الله تعالى في الأرض ، ونشر ما جاء به من النور والرحمة للعالمين ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، وزوى الله تعالى له الأرض فرأى ملك أمته قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها . ففي صحيح مسلم عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله زوى لي الأرض . فرأيت مشارقها ومغاربها . وإن مُلك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها . وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**» .

وفي المسند عن العرباض بن سارية قال : كان النبي ﷺ يخرج علينا في الصفَّة ، فيقول : «**لو تعلمون ما ذخر لكم ما حزنتم على ما زوى عنكم ، وليفتحن لكم فارس والروم**» رواه أحمد .

وعن تميم الداري قال : (**سمعت رسول الله ﷺ يقول** : «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر**» . **وكان تميم الداري يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية**) رواه أحمد .

وقد أيده الله تعالى بالمعجزات والبراهين القاطعة العظام والدلائل على

نبوته . فصنف فيها المصنفات الطوال ، والمسانيد الصحاح ، وغيرها . وقد عُدَّت نحو ألف معجزه وبرهان ودليل على نبوته ﷺ . كما نص أهل العلم[١] .

وكان أعظمها ذلك القرآن العظيم المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة ـ والذي أوحى الله به إلى هذه النبي الأمي الأمين ـ فأعجز الله به العالمين ، من الإنس والجن أجمعين ، إلى يوم الدين ، على أن يأتوا بمثله . قال تعالى : ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** (٨٨)﴾ (الإسراء) .

فعجزوا فجاء التحدي على أن يأتوا بعشر سور من مثله : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** (١٣)﴾ (هود) .

فعجزوا فجاء التحدي على أن يأتوا بسورة من مثله : ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** (٢٣)﴾ (البقرة) .

فعجزوا أيضاً ، وما كان لهم أن يفعلوا ، وليس لهم ذلك . فأين أرباب الفصاحة ، وأين أرباب البلاغة ، وأين أكابرة المنطق ، وأين فطاحلة العلم في الأرض قاطبة ، وأين جهابذة الفلسفة من الإنس والجن وغيرهم ، في أن يأتوا لنا بسورة ـ عبر القرون المديده ومئات السنين ـ مما جاء به هذه النبي الأمي .

قال تعالى : ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** (٤٨) **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا**

---

(١) انظر ما قاله ابن تيمية في ذلك في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» .

إِلاَّ الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (العنكبوت) .

وقد روي أن أصحاب الفيلسوف الكندي «فيلسوف العرب»[١] قالوا له : أيها الحكيم : اعمل لنا مثل هذا القرآن ، فقال : نعم أعمل مثل بعضه ، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال : والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد ، إني فتحتُ المصحف فخرجت سورة المائدة ، فنظرتُ فإذا هو قد نطق بالوفاء ، ونهى عن النكث ، وحلل تحليلاً عاماً ، ثم استثنى بعد استثناء ، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا . أهـ .

يشير إلى قوله عزوجل في أول سورة المائدة : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾**﴾ (المائدة) .

قيل : وهذا الذي قاله الفيلسوف مقدار فهمه ومبلغ علمه ، وإلا فبلاغة القرآن فوق ما يصف الواصفون ، وكيف يقدر البشر أن يصفوا صفات من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؟ !

يقول الله تعالى : ﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾**﴾ (هود) .

نعم . أنزل بعلم الله عزوجل الذي أحاط بكل شيء علماً وسراً .

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي الأشعثي الفيلسوف ، انظر ترجمته في لسان الميزان (٦/ ٣٠٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٣٧) .

قال سبحانه : ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيمًا (٦)**﴾ (الفرقان) .

وهذه الأسرار التي جاءت وأظهرها الله في القرآن . من حقائق خلق السماوات والأرض التي لا يعلمها إلا من فطر هذا الكون وأنشأ نجمه وأفلاكه ، وشمسه وأقماره ، وأغطش ليله وأخرج ضحاه ، ودحى أرضه ، وأرسى جباله ، وأجرى أنهاره ، وبث فيها من كل دابه ، وأودع فيها من عجائب قدرته وأسراره ، هذه الأسرار ظَلَّت أعناق علماء الأرض لها خاضعين . سيما في هذا العصر الذي تجلَّت فيه هذه العلوم والأسرار والحقائق الكونية .

قال تعالى : ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (٥٤)**﴾ (فصلت) .

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**» .

وقد تنبأ به أهل الكتاب . فهم يعرفونه ﷺ كما يعرفون أبناءهم ، وتجلَّت صفته في كتبهم .

أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى : ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**﴾ قال : (زعموا أن بعض أهل المدينة من أهل الكتاب ممن أسلم قال : والله لنحن أعرف به منا بأبنائنا من الصفة والنعت الذي نجده في كتابنا ، وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء) .

وأخرج الثعلبي عن ابن عباس ، قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال عمر بن الخطاب لعبدالله بن سلام : (قد أنزل الله على نبيه ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**﴾ فكيف يا عبدالله هذه المعرفة؟

فقال عبدالله بن سلام : يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان ، وأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني .

فقال عمر : كيف ذلك؟ قال : إنه رسول الله حق من الله ، وقد نعته الله في كتابنا ، ولا أدري ما تصنع النساء . فقال له عمر : وفقك الله يا ابن سلام» .

وأخرج الطبراني عن سلمان الفارسي . قال : (خرجت أبتغي الدين ، فوقعت في الرهبان بقايا أهل الكتاب . قال تعالى : ﴿**يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**﴾ فكانوا يقولون : هذا زمان نبي قد أطل يخرج من أرض العرب له علامات ، من ذلك : شامة مدورة بين كتفيه خاتم النبوة) .

فلم يخفى عليهم شيء من علاماته الدالة على نبوته ، ولكن الحسد والبغي . حين أرادوه من بني إسحاق وقد جاء من بني إسماعيل .

وقد كان في اختبار هرقل ملك الروم في عصر النبوة ، وما علمه من أهل الكتاب علم اليقين بتلك العلامات شاهد أيضاً على ذلك . حين سأل أبو سفيان ، وقربه منه ، وجعل أصحابه وراء ظهره ، وقال لهم : إن كذبني فكذبوه . حتى قال أبو سفيان ـ وهو يروي الحديث بعد إسلامه ـ : والله لولا أن يؤثروا عليَّ كذباً لكذبت عنه .

سأله هرقل . فقال : (كيف نسبه فيكم؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من

ملك؟ قلت : لا . قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال : ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه . قال : ماذا يأمركم؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال للترجمان : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا ، قلت فلو كان من آبائه من مَلِك قلت : رجل يطلب مُلْكَ أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم

بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه ، لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه .

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحيه إلى عظيم بصرى ، فدفعه إلى هرقل ، فقرأه ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)**﴾ (آل عمران) .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب ، وارتفعت الأصوات ، وأخرجنا . فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة ، إنه يخافه ملك بني الأصفر . فما زلت مُوقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام .

وكان ابن الناظور ـ صاحب إيلياء وهرقل ـ أسقفا على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح خبيث النفس ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك . قال ابن الناظور : وكان هرقل حزاءً ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود ، فلا يُهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود . فبينما هم على أمرهم أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ . فلما استخبره هرقل قال :

اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه ، فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب فقال : هم يختتنون . فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره في العلم . وسار هرقل إلى حمص ، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ ، وأنه نبي . فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم ، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حُمُر الوحش إلى الأبواب ، فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم ، وأيس من الإيمان قال : ردوهم علي . وقال : إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل) رواه البخاري .

فصل

في بيان أنه ﷺ هو خاتم الأنبياء

وما أكرمه الله به دون سائر الأنبياء

يقول الله تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (٤٠)﴾ (الأحزاب) .

روى البخاري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب**» متفق عليه .

والعاقب : الذي ليس بعده نبي .

وروى البخاري عن أبي هريرة . عن النبي ﷺ قال : «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون . قالوا : فما تأمرنا؟ قال : فوا ببيعة الأول فالأول ، أعطوهم حقهم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم**» .

وروى مسلم عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : «**فُضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم . ونصرت بالرعب . وأحلت لي الغنائم . وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً . وأرسلت إلى الخلق كافة . وختم بي النبيون**» .

وفي المسند وغيره عن أبي أمامة ، قال : **قلت : يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال** ﷺ : «**دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام**» رواه أحمد .

أما دعوة أبيه إبراهيم فذلك بقول إبراهيم عليه السلام : ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (١٢٩) ﴾ (البقرة) .

أما بشرى عيسى عليه السلام فذلك بقوله عزوجل : ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** (٦) ﴾ (الصف) .

أما رؤيا أمه ﷺ فقد تحقق ذلك : حين بلغ نور الإسلام قصور الشام ، ومدائن فارس ، ومشارق الأرض ومغاربها .

وأكرمه الله تعالى بأن أسرى به ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ، فدخله وصلى به ركعتين ، ثم أُعرج به إلى السماء حتى بلغ سدرة المنتهى ، ورأى من آيات ربه الكبرى ، ومعه جبريل عليه السلام يستفتح له كل سماء ، وما من سماء يمر عليها إلا وجد فيها نبي من الأنبياء ، فيسلم عليه . فيرد عليه ، ويقول : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فارتقى إلى السماء السابعة وإذا بنبي الله إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره بالبيت المعمور ، وإذا هو يدخله سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب به إلى سدرة المنتهى ﴿**إذ يغشى السدرة ما يغشى**﴾ فغشيها من أمر الله ما غشي . فتغيرت فما من أحد ـ كما قال ﷺ ـ من خلق الله يستطيع أن ينعتها ويصفها من حسنها .

وفي رواية «**ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**» رواه البخاري .

وفي هذا المقام السامي شرع الله وافترض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس بعدما شرعت خمسين صلاة في اليوم والليلة . فلا يزال يتردد ﷺ على موسى عليه السلام في السماء السادسة ويأمره موسى بأن يرجع ويسأل الله عزوجل التخفيف عن أمته فإنها لا تطيق ذلك . ويرجع ﷺ ويسأل الله فيضع سبحانه عشراً ثم عشراً ثم عشراً ثم عشراً . حتى افترضها خمساً أجرهن أجر خمسين صلاة .

فالله الحمد والمنه على هذه الرحمة الواسعة منه عزوجل على عباده . وأفضل الصلاة والتسليم والشكر لنبينا ﷺ ولنبي الله موسى على هذه الرأفة بهذه الأمة ، وجزاهم الله عن هذه الأمة أعظم جزاء .

وبهذا تميزت فريضة الصلاة عن سائر الشرائع . فإنها شرعت في السماء في هذا المقام السامي الرفيع . بخلاف باقي الشرائع التي شرعت في الأرض .

وفي هذا يتجلى لنا سر هذه الصلاة ـ التي هي صلة ما بين العبد وربه عزوجل ـ القائمة على ذكره سبحانه . بقوله ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ⦗١٤⦘﴾ (طه) .

فإن الروح أصلها من السماء من أمر الله عزوجل الذي أمر الملك بنفخ الروح في جسد ابن آدم ، ثم أمره عند موته بقبضها وإرجاعها إلى الله تعالى : ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ⦗٢٧⦘ **ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً** ⦗٢٨⦘ **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** ⦗٢٩⦘ **وَادْخُلِي جَنَّتِي** ⦗٣٠⦘﴾ (الفجر) .

وأما الجسد فإن أصله من الأرض . من ترابها وطينها ، ولهذا كان غذاؤه من أصل موطنه ومنشأه . مما تخرج الأرض من المشارب والمآكل وغيرها .

وأما الروح فإن غذاؤها من السماء من أصل موطنها ومنبعها ، وغذاؤها هو ذكر الله عزوجل ـ فاطرها وموجدها وحبيبها وباريها ـ بتمجيده وتسبيحه وتحميده . بكرة وأصيلا .

فإذا حرم العبد روحه ونفسه من هذا الغذاء . كان حقّاً على الله عزوجل أن يجعل هذه الروح تري صاحبها من العذاب في هذه الدنيا ما الله به عليم . قال تعالى : ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** (٢١)﴾ (السجدة) .

فقوله : ﴿يرجعون﴾ أي : لعلهم يتوبون وينيبون إلى ربهم بعد هذا العذاب الدنيوي .

وقال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** (١٢٤)﴾ (طه) .

وقال تعالى : ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** (٢٨)﴾ (الرعد) .

وقال تعالى : ﴿**وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (١١)﴾ (التغابن)
وقال تعالى : ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (٩٧)﴾ (النحل) .

كما أن من حرم جسده من غذاء ذلك الجسد كان حقاً على الله أن يجعل ذلك الجسد يغشاه من العذاب والآلام والتهلكه ما الله به عليم .

فصل

إنه نبي الهدى والرحمة والرأفة . الذي وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** (١٢٨)﴾ (التوبة) .

إنه نبي الأخلاق الذي بعثه الله تعالى ليتمم مكارم الأخلاق وقال فيه : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** (٤)﴾ (القلم) .

إنه نبي الأميين الذي قال تعالى فيه : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** (٢)﴾ (الجمعة) .

روى البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : «أن هذه الآية التي في القرآن : ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً**﴾ قال في التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً» .

وهذا من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام . فإن المعلّم كيف له أن يعلّم وهو لا يقرأ ولا يكتب ـ ففاقد الشيء لا يعطيه ـ وقد جعله الله تعالى معلّما للعالمين من الإنس والجن يقود الناس ويسوسهم إلى منهج الله وصراطه المستقيم .

إنه سيد ولد آدم ، وأول من تنشق عنه الأرض ، ورافع لواء الحمد يوم القيامة ، وصاحب المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون ، وصاحب الحوض المورود وهو الكوثر ، وأول شافع وأول مشفع ، وهو وأمته أول من يجوز الصراط ، وأول من يستفتح باب الجنة وأول من يدخلها من الأمم أمته ، وهم ثلث أهل الجنة ، وله ﷺ درجة الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة ليس فوقها إلا عرش الرحمن جل جلاله . يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأحزاب) .

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى وصحبه أجمعين . والحمدلله رب العالمين .